

تلخيص مفهوم الدولة لعبدالله العروي

المقدمة:

مما لا شك فيه ان الدولة تعتبر منتج طبيعي لوجود المجتمعات الإنسانية منذ القدم، وقارن الكاتب بين حتمية هذا المنتج ومنتج آخر اختص فقط في بعض المجتمعات وهو الحرية وهنا وضع الكاتب الاختلاف الجوهرى بين وجود وقوام الدولة وبين حرية الافراد في هذه الدولة لما يختلف من مرجعيات هرمية التكوين للمجتمع ففيها دائما ضعيف وقوي يقدر على سلب حرية الأول لكن هذا لا يخل بالتكوين القهرى لوجود الدولة. وبالإضافة الى ذلك، ان الدولة لا مفر منها الا اليها فهي كمنتج انساني اولي تشكل وعي مواطنيها منذ طفولتهم مروراً بكل مراحل حياتهم فتصبح معطي بديهي لجميع مواطنيها يصعب تخيل الواقع بدونها. نستنتج من هذا ان الدولة زمينة في طبيعتها لا ينفع في شيء تحليلها ولهذا يجدر بنا الانطلاق من الدولة كواقع مفروض بدون تساؤلات وبدون نظره قانونية ثاقبة. ان تواتر الأجيال في مساعي الدول هو ما يضيف دائما الى تجارب السابقين في التعايش مع مفهوم الدولة. وفي خلل هذا التطور عرفت الدولة دائما بالأشخاص القائمين عليها و ادي دائما التفكير حول الدولة علي محاوره الثلاثة: الهدف، التطور، و الوظيفة الي توطيد تداخل هذه المعاني بين بعضهم البعض في المحاور و الأطر الموضوعية لتحليل ذلك الواقع القهرى و هي الدولة في كينونتها الحالية و التي هي محض دراسة دائمة في القانون، و الفلسفة، التاريخ، و الاجتماعيات كل علي طبيعته الخاصة الغير متعاوضة فلا يمكن لرجل القانون ان يتفلسف ولا الفيلسوف ان يكون تطوريا، و لا عالم الاجتماع ان يكون مستشف، ولا المؤرخ ان يكون مؤلفا لخيالات واسعة. في النهاية، "لكل سؤال منهج، ولكل منهج سؤال".

الفصل السابع: المفارقة الحالية.

كان من البديهي تحليل المفهوم المتشعب للعقلانية عند دراسة أسوأها الفكرية: الدولة والحرية وذلك نظرا لارتباطهم في علاقات جدلية محكومة في نطاق تعييني من الواقع المعاش. في تحليلات ماكس فاير، ارتبطت العقلانية بأسس الدولة البيروقراطية وهو ما يتبع النهج الماركسي في التحليل التاريخي والاقتصادي. ونتيجة لذلك، عند استخدام تعبير العقلانية في الاجتماعيات والسياسيات، يجب علينا تذكر أنه مرتبط بنمو تأثير الطبقة التجارية في الاقتصاد والمجتمع في أوروبا، انه يتم تجسيده بوضوح في النظم الاجتماعية و أيضا السلوك الفردي، و أخيرا يجب تذكر ان العقلانية في حد ذاتها فرضيه قائمة بذاتها بعيدا عن

الأخلاقيات و الأعراف. وهنا نري الاختلاف بين العقلانية والفلسفة حيث دائما ما مزجت الفلسفة الصحيح بالأفضل للوصول الي هدف اسمي عادة ما يكون غيبي الطبيعة فنجد ان "كل الطرق تؤدي الي روما" صحيحة من المنظور الفلسفي ولو استغرق الوصول مئة عام. وعلي النقيض نجد ان العقلانية تقضي علي الباحث ان يجد -وبالبرهان- أفضل الطرق الي روما اتساقا مع ممارساته وفي الأساس مع هدفه الغيبي بعد عملية الانفصال عن الاخلاق والمورثات والتوهمة مع الهدف، ومع الهدف فقط! نستنتج من هذا ان تعريف العقل البشري لنفسه كان شيء ارادي في بادئ الأمر وان التمييز بين الهدف والوسيلة ما هو الا ثمار النشاط البشري علي مر العصور عندما استطاع الانسان لأول مره تطويع مفردات الكون لتحقيق هدف حددته طبيعته اللوحية في زمان ومكان معينين. تراء ذلك النمط في مختلف حقب الانسان المدونة؛ التاريخ اليوناني تارة، والأوربي تارة، والإسلامي في اخري. وفي كل مره اخذ هذا التواتر في تطوير العقل -وما يخصه من المفاهيم الأخلاقية- والعقلانية أيضا. لكن فب هذا الصدد، فانه لا يوجد ما يمنع من حلول العقل في المجتمع -كمنتج لنشاط انساني الأصل- لتسير عمليات تغيير التنظيمات المحيطة بالإنسان. فنري ان الحرب في كل العصور كان لها ما لها من أدوار إيجابية مطورة لجميه مناحي الحياة الإنسانية وان اختلفت طبيعتها التدميرية مع طبيعة المجتمع السلمية والبناءة. وعلي الكافة الأخرى نجد ان التجارة لطالما كانت الحصن الحصين للعقل والمنطق و العقلانية لما تحمله في طياتها من عمليات حسابية و عقلانية سهلة الادراك و التكرار و هدفها في الأساس تنموي ليس بقهري علي عكس التطويع العسكري للعقل البشري.

